**محاضرة الأدب الإفريقي**

**السنة الثانية دراسات أدبية**

**جميع الأفواج**

**تمهيد:**

يتوزع الأدب الإفريقي بين التراث الشفهي وبين الآداب المكتوبة بلغات بعض الشعوب الإفريقية التي تعيش في بعض أجزاء إفريقيا، ولاسيما إلى الجنوب من الصحراء الكبرى. ومع أنه لا يمكن الادعاء بوجود وحدة ثقافيّة أصيلة بين الشعوب الكثيرة التي تعيش في هذه القارة، إلّا أنّه لا يمكن أيضاً إنكار الملامح الحضارية المشتركة التي تعم شعوبها، وقد بدأت هذه الملامح تظهر –خاصة- بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، حين ظهرت حالات الوعي السياسي الذي يدل على الانتماء الحضاري للأفارقة، وذلك من خلال بعض الحركات والتنظيمات الإفريقية مثل: حركة عموم إفريقية.

### 1- الأدب الإفريقي المكتوب بالفرنسية:

انتشرت اللغة الفرنسية بين المثقفين الأفارقة الذين عاشوا في المناطق التي كانت مستعمرات فرنسية، أو الذين تلقوا تعليمهم في فرنسا، مما أنتج بعض الكتاب الذين حازوا شهرة كبيرة، وكانت الكتابات التي نشرها بعض مستكشفي القارة ومستعمريها والمبشرين مقدمة لمجموعة من المؤلفات التي تصف القارة وسكانها، وفي طليعتها :"رحلة تومبكتو ودُجيّنة" (1830) لرونيه كاييه، ثم بدأت تظهر بعض كتابات الأفارقة أنفسهم من أمثال "عثمان سوسيه" من السنغال، و"بول هازومي" من داهومي، و"رونيه ماران" من غينيا الذي كان في طليعة الكتاب الأفارقة الذين جابهوا الاستعمار وكشفوا عن مخاطره وأعماله، وعدّ مؤلَّفه "باتولا" الفائز [بجائزة غونكور](https://www.marefa.org/%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%B2%D8%A9_%DA%AF%D9%88%D9%86%D9%83%D9%88%D8%B1) الأدبية (1921) بداية حقيقية للأدب الإفريقي المكتوب بالفرنسية.

أسهمت الدراسات الإثنولوجية في ازدياد تمسك الأفارقة بماضيهم، واعتزازهم بأنفسهم، وتقديرهم لتراثهم وتقاليدهم في داخل القارة وخارجها فنشر د. جان برس مارس كتاب "هكذا تكلم العم" في هاييتي (1928) وكان لعمله هذا أثر كبير في تعميق تلك المشاعر لدى الزنوج وازداد هذا الأثر عمقاً مع نشر بيان المثقفين الأفارقة "الدفاع الشرعي عن النفس" (1932) وصدور صحيفة "الطالب الزنجي" في باريس (1934) التي تولى تحريرها الشاعر والرئيس السنغالي السابق ليوبولد سنغور وليون غونتران داماس من غويان وهي مستعمرة فرنسية في أمريكا اللاتينية، والشاعر إمييه سيزار، فنشطت حركة الأدباء الأفارقة وازدهر نتاجها، فأصدر ليون داماس "الأصباغ" (1937)، وكتب إمييه سيزير "دفتر العودة إلى الوطن" (1939)، ونشر سنغور "أغاني الظلام"  (1945)

وكانت محاولات التخلص من سيطرة المستعمر الأبيض في مقدمة العوامل المنشطة للنتاج الأدبي الغزير في هذه المدة، وقد أصدر هؤلاء الثلاثة مجلة "الوجود الإفريقي" (1947) التي تعد أول مجلة أدبيّة إفريقيّة تصدر باللغة الفرنسية، وكان لها أثر ظاهر في إذكاء فكرة "الزنوجة" التي دعا إليها كثير من الأدباء الأفارقة.

ضم الجيل الثاني من الأدباء مجموعة من الكتاب الذين ظهرت مؤلفاتهم في الخمسينات مثل [مونغو بيتي](https://www.marefa.org/index.php?title=%D9%85%D9%88%D9%86%DA%AF%D9%88_%D8%A8%D9%8A%D8%AA%D9%8A&action=edit&redlink=1)  [وفرديناند أويونو](https://www.marefa.org/index.php?title=%D9%81%D8%B1%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A7%D9%86%D8%AF_%D8%A7%D9%88%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%88&action=edit&redlink=1)  [وسمبين عثمان](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%B3%D9%85%D8%A8%D9%8A%D9%86_%D8%B9%D8%AB%D9%85%D8%A7%D9%86&action=edit&redlink=1)  وجبريل تامسير وجان مالونفة ونازي بوني الذين دعوا إلى تأكيد الهوية الأدبية الإفريقية من دون تعصب لحركة الزنوجة، ويعد الشاعر الكونغولي [تشيكايا أوتامسي](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%AA%D8%B4%D9%8A%D9%83%D8%A7%D9%8A%D8%A7_%D8%A3%D9%88%D8%AA%D8%A7%D9%85%D8%B3%D9%8A&action=edit&redlink=1) أهم ممثلي هذا الاتجاه، كما يعد مونغو بيتي أبرزهم في ميدان القصة، ويتجلى ذلك في روايته "مسيح بومبا الفقير" (1956) وكذلك [فرديناند أيونو](https://www.marefa.org/index.php?title=%D9%81%D8%B1%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A7%D9%86%D8%AF_%D8%A3%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%88&action=edit&redlink=1) في قصصه "حياة صبي" (1956) و"صبي البيت" (1966) و"الوسام" (1967) التي ترمي إلى تسفيه فكرة فَرْنَسَة إفريقية الغربية.

أما الأدباء الأفارقة الشباب الذين ظهرت أعمالهم في مرحلة ما بعد الاستقلال فقد أثاروا المشكلات الناجمة من التفاوت الكبير بين البيئتين الغربية والإفريقية، كما هو الشأن في رواية "المغامرة الغامضة" 1961 "للشيخ حميدو كان" من السينغال، ويتجه بعض الكتاب إلى تصوير الأوضاع المضطربة في بلادهم بعد استقلالها مثل أحمد كروما في روايته "شموس الاستقلال" [وكمارا لاي](https://www.marefa.org/index.php?title=%D9%83%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7_%D9%84%D8%A7%D9%8A&action=edit&redlink=1)  في روايته «دراموس» (1966) التي يهاجم فيها تسلط الحزب الحاكم في غينيا.

أما المسرح فقد كانت بداياته متواضعة تجلت في مسرحيات صغيرة تروى حكايات شعبية، وتجسد التقاليد الإفريقية الأصيلة، وتوجه في كثير من الأحيان نقداً لاذعاً لأنظمة الحكم الوطنية مثل مسرحية "مأساة الملك كريستوف" لسيزير (1964) والرئيس لمكسيم دبيكا 1970، ومسرحية "السكرتير الخاص" لجان بيليا (1973)

### الأدب الإفريقي المكتوبة بالإنكليزية:

تعدّ الكتابات التي نشرت في إنكلترا، والتي كتبها أفارقة بيعوا هناك أو ولدوا عبيداً ثم اعتقوا، من أوائل ما كتبه الأفارقة بالإنكليزية ومن ذلك رواية "الإفريقي" (1789) التي تحكي حياة [ألودا أكيانو](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%A3%D9%84%D9%88%D8%AF%D8%A7_%D8%A3%D9%83%D9%8A%D8%A7%D9%86%D9%88&action=edit&redlink=1) أو [غوستاف فاشا](https://www.marefa.org/index.php?title=%DA%AF%D9%88%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%81_%D9%81%D8%A7%D8%B4%D8%A7&action=edit&redlink=1) ومغامراته، وهي أول سجل كتبه إفريقي عن وطنه الأصلي وفي القرن التاسع عشر، ومع انتشار المدارس التبشيرية في إفريقيا، نشر بعض الأفارقة أعمالهم بالإنكليزية في موطنهم الأصلي.

وفي مطلع القرن العشرين كتب وزير العقائد الغاني الثائر [كارل كريستيان رايندروف](https://www.marefa.org/index.php?title=%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%84_%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D8%B1%D8%A7%D9%8A%D9%86%D8%AF%D8%B1%D9%88%D9%81&action=edit&redlink=1) "تاريخ ساحل الذهب وأشانتي" (1911) وأفاد فيها من التراث الإفريقي الشفوي. كما كتب في السنة نفسها [جوزيف كاسلي هايفورد](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%AC%D9%88%D8%B2%D9%8A%D9%81_%D9%83%D8%A7%D8%B3%D9%84%D9%8A_%D9%87%D8%A7%D9%8A%D9%81%D9%88%D8%B1%D8%AF&action=edit&redlink=1) "إثيوبيا غير المقيدة"، وهي مزيج من القصة والسيرة الذاتية، وبشر فيها بظهور حركة الزنوجة.

وكان من نتائج الحركة الأدبية التي نشطت في باريس منذ الثلاثينات أن صدرت في نيجيريا مجلة "أورفيوس الأسود" التي عُنيت بنشر أعمال الكتاب الأفارقة المكتوبة بالفرنسية مترجمة إلى الإنكليزية، وفي مطلع الستينات برزت في نيجيريا حركة معارضة لأسلوب "سنغور" المغالي في المثاليّة، وأصبحت الأحوال مواتية للتخلي عن نهج الكتاب الأفارقة الذين يكتبون بالفرنسية، وكان الروائي وول سوينكا في طليعة الدعاة إلى هذا الاتجاه، فازداد نتاج الأدباء الأفارقة بالإنكليزية، ونشرت عدة روايات ودواوين شعرية تتناول المشكلات الناجمة من اضطراب الأوضاع السياسية بعد الاستقلال، وتنتقد الأوضاع السائدة في المستعمرات الإنكليزية القديمة، وتنبه إلى خطر المبشرين الأوربيين، ومن أبرز كتاب هذه المرحلة: الروائي النيجيري [شينوا آشبي](https://www.marefa.org/index.php?title=%DA%86%D9%8A%D9%86%D9%88%D8%A7_%D8%A2%DA%86%D8%A8%D9%87&action=edit&redlink=1) صاحب رواية "الأشياء تتداعى" (1958) التي تعد من أفضل أعماله، [وألكس لاغوما](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%A3%D9%84%D9%83%D8%B3_%D9%84%D8%A7%DA%AF%D9%88%D9%85%D8%A7&action=edit&redlink=1) من جنوب إفريقيا الذي تعكس أعماله القصصية روح النضال ضد التفرقة العنصرية، والشاعر الأوغندي أوكوت بيتيك الذي خصص معظم قصائده الطويلة لانتقاد الواقع السياسي في بلاده بعد الاستقلال، والشاعر الغاني كيابر منسا الذي حاز جائزة المارغريت الأدبية (1970)، وغيرهم كثير من الكتاب والأدباء الذين يكتبون بالإنكليزية. ويضاف إلى هؤلاء مجموعة أخرى كبيرة من الأدباء الأفارقة الزنوج الذين وطنوا أمريكة أو استوطنوها ويعد أدبهم في عداد الأدب الأمريكي لدى معظم الدارسين.

وعموما فإن مجمل النتاج الأدبي الإفريقي يُظهر أن جل الكتاب الأفارقة المعاصرين قد واقعوا تحت تأثير تيارين قويين، يتمثل أولهما في محاولة تعميق الارتباط بجذورهم، والثاني في خلق لغة خاصة تتصف بالشموليّة والعالمية في آن واحد، وقد أشار الكاتب الكونغولي دونغالا إلى هذه الخصائص فذكر أن الأدب الإفريقي في إبان الاستعمار اتصف بالشمولية في مستوى القارة، ثم بدأت تتضح بعد الاستقلال الصفات النوعية المميزة لكل بلد أو مجموعة عرقية، بيد أن القاسم المشترك بين مختلف أدباء القارة إنما يتجلى في انشغال الأدباء الأفارقة بالتصدي للمشكلات الكثيرة التي تواجه هذه الدول الفتية، وتطبع آدابها بطابعها.

ملاحظة: للاستزادة يُنظر كتاب: الأدب الإفريقي، علي شلش، عالم المعرفة، الكويت.